

خطبة، بعنوان: لا تغلوا في دينكم.. وما كان الرفق في شيء إلا زانه

# الرفق من نواميس الله في الخلق والكون والحياة

## مائة صورة للرفق في حياتنا المعاصرة

### التشدد والغلو هدم للدين وخرق لسفينة الدنيا

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان  
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١٤ صفر ١٤٤٧هـ، الموافق ٨ أغسطس ٢٠٢٥م  
موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هُدىً ورحمةً للمؤمنين، وجعل دينه مبنياً على الرحمة واليسر والعدل والاعتدال، ونهى عن الغلو والتشدد والانحراف عن جادة الصواب.

نحمده على ما هدانا، ونشكره على ما أولانا، ونستغفره من ذنوبنا وعصياننا، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً (ﷺ) عبده ورسوله، وصفيه وخليفه، نبى الرحمة، ومعلم الرفق، ومربي الأمة على الحلم واللين. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشراف الأنوار، الأعطران الأزهران، المزهرة المثمران، على من جمعت كل الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضه عنا، وارض عنا، برضاه عنا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

**أيها المسلمون:** أوصيكم ونفسي المقصورة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).  
وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).  
**أما بعد... أيها المؤمنون:**

## ديننا يسر لا عسر فيه

### الرفق رحمة ونجاة وتعايش وعمران

لقد بذل النبي (ﷺ) غاية الجهد في نشر مكارم الأخلاق التي بُعث من أجلها، وكان من أبرز هذه القيم السامية التي أكد عليها، وجعلها من الأخلاق المركزية في الإسلام الحنيف: قيمة الرفق بمعناها العام، التام، الكامل، الشامل. وكانت وصاياه القولية، وتطبيقاته الفعلية الخالدة، في كل شيء، ومع كل الناس، ومع سائر المخلوقات، وفي شتى الأحوال، حتى في العبادة، مصدر فخر واعتزاز لأتباع حضارة الإسلام بهذه القيم العظيمة، التي أضاءت الدنيا، وأنارت القلوب، وأعادت الإنسانية إلى الإنسانية، ونشرت الرحمة والرحمة والتراحم بين الإنسان وشقى مفردات الطبيعة والكون في وقت كانت تُشعل الحروب الضروس القاسية بين القبائل، وتستمر عقوداً لأتفه الأسباب.. تلك القيم التي تأسست على الوحيين الشريفين، لتؤسس حضارة الرحمة، حضارة العدل.. تلك الحضارة التي أبهرت الدنيا، وعلمت العالم يوم تمسك المسلمون بمنهج الله تعالى.

ولا ريب في أن قيمة الرفق، التي تتكون في أصلها من ثلاثة أحرف (ر، ف، ق)، هي التي تبني القلوب الرحيمة، وتصنع المجتمعات المتراحمة، المنتجة، المبدعة.

وقد أسهمت هذه القيمة السامية بسهم وافر في نشر الدين الحنيف في بقاع الأرض قاطبة، لا بقوة السلاح، بل بلين القول، وصدق الرحمة، وعظيم الخلق.

وهكذا يتبين أن الرفق أقوى بكثير جداً في أثره وتأثيره من الشدة والعنف، وأنه السبيل الحقيقي لجذب القلوب، وبناء الإنسان، وصياغة التعايش، وصناعة الحضارة. وصدق الله القائل: عن نبيه (ﷺ): (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩).

**تعريف الرفق:**

الرفق هو: اللين في القول، والتلطف في الفعل، والرحمة في المعاملة، والبعد عن العنف والفظاظة.

### منهج النبوي: الرفق والاعتدال

كان النبي (ﷺ) أرفق الناس وأعدلهم، ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه.

وحث على تزيين الحياة والأحوال والقلوب والعقول وتجميلها بالرفق، فقال (ﷺ): (إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) (١).

## أنواع الرفق:

### ١. الرفق في الدعوة:

قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل: ١٢٥)، وقال (تعالى) لنبيه موسى وهارون (عليهما السلام): (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه: ٤٤)، فُسُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحِيمِ! إذا كان هذا توجيه الله مع مَنْ ادَّعى الألوهية! فما بالنا برفق الله تعالى بَمَنْ قال ربِّي الله؟!.

### ٢. الرفق الأسري:

قال (ﷺ): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) <sup>(٢)</sup>، وكان (ﷺ) في خدمة أهله، يعين ويُرفق ويبتسم، ويتسامح، ويتسامى، ويغفو عن الزلات، ويعفو.

### ٣. الرفق بالضعفاء والمساكين:

يقول النبي (ﷺ): (ابْغُوْني ضَعْفَاءَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ) <sup>(٣)</sup>.

### ٤- الرفق بالرعية:

فعن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) قال: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ) <sup>(٤)</sup>.

### ٥- الرفق بالحيوان:

فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، -وفي رواية حبستها- فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) <sup>(٥)</sup>.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خَفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِيهِ -أي: بضمه وهو صاعد من البئر- فسقى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ) <sup>(٦)</sup>.

## مثال نبوي عظيم:

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَقُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): (مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوَهُ) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ؛ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ <sup>(٧)</sup>.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(٣) أخرجه شعيب الأرنؤوط (تخريج المسند لشعيب) إسناده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

## إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرْقًا: مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا

فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرْقًا، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى) (٨).

يقول أستاذنا الفاضل د/ محمد بكر إسماعيل (رحمه الله): كان النبي العظيم (ﷺ) يلاحق أولئك الذين يُرهقون أنفسهم في التعبد إرهاقًا شديدًا، غير مبالين بحق أجسامهم في الراحة، ولا حق أزواجهم في المتعة، فيقضون النهار في الصيام، والليل في القيام، ويزهدون في طيبات الحياة، ويكتفون من دنياهم بما يسد الرمق، ويستتر العورة... وكان عليه (ﷺ) يدعوهم إلى الرفق بأنفسهم، وبأزواجهم، والاعتدال في عباداتهم؛ لئلا يملوها فينقطعوا عنها، فيخالفون بذلك ما يحبه الله ويرضاه، فقال (ﷺ): (... أَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ أَذْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) (٩).

والإسلام دين الوسطية لا إفراط فيه ولا تفريط، دين قويم يهدي للتي هي أقوم، ويغلب بيسره وسماحته كل منتنع، ويقهر كل متهاون مستهتر. فهو دين متين، أي:

✓ **قَوِي** غاية القوة في حججه وبراهينه

✓ **عَدَل** في أوامره ونواهيه

✓ **شَدِيد** على من يعاديه أو يغلو فيه؛ فإن الذي يغلو فيه هو عدو له في صورة حبيب، ينطبق عليه عموم

قوله تعالى في سورة الكهف: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (الكهف: ١٠٣-١٠٤).

فهذه الآية تتناول - فيما تتناول - ما يلي:

• **أهل البدع** الذين تشددوا في الدين حتى ذهبوا بأهم خصائصه وهي اليسر والسماحة، والوسطية والحيوية، والمرونة ورفع الحرج، وقلة التكاليف، وما إلى ذلك مما نص عليه الفقهاء في كتبهم.

وهؤلاء قوم يقرأون القرآن ولا يتجاوز حناجرهم، وإنهم ليمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، كما قال الرسول (ﷺ) (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَّتْ أَسْنَانُ، سُفِهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ...) (١٠).

فهم يخرجون من الدين دون أن يصيبوا منه خيرًا، كما يخرج السهم من جسم الحيوان الذي يُرمى به قبل أن ينهار الدم فلا يلوّث به، فينظر فيه المرء من أعلاه ومن أسفله فلا يرى فيه أثرًا للدم، وهو كناية عن الخروج من الدين بأقصى سرعة. نسأل الله السلامة من شرهم.

• **أدعياء الزهد والصلاح والتقوى**، وهؤلاء لو أنصفوا ما شددوا على أنفسهم -أو على غيرهم- ولا بالغوا في

حرمانها من الطيبات، ولكنّ الجهل بسماحة الدين ويسره قد حملهم على ذلك، وقد كان منهم من يعيش في زمن النبي (ﷺ)، فكان يلاحقهم كلما رأى منهم تشددًا، كالثلاثة الذين طافوا على بيوت نساءه (ﷺ)

يسألوهن عن عبادته، فأخبروا بها، فكانهم تقالوها، وقالوا ما قالوا تشدداً وغلوا.

فجاءهم رسول الله (ﷺ) حين علم بأقوالهم، وعلمهم الوسطية والاعتدال الرفق في أسمى معانية ومراميه.

وقد رأينا في هذا الزمان قوماً صغار الأسنان، سفهاء الأحلام، يدعون العلم والمعرفة بأمر الدين وأحكامه وهم يجهلون أصوله وفروعه، ويقلدون الجهال في فتاويهم، ويأخذون العلم ممن لا علم له فيضلون ويضلون.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه.

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وإذا قلت لأحدهم: قال الله وقال الرسول، قال: يقول فلان كذا، وفلان يقول كذا، وهم عندنا من الأئمة الأعلام.

### أوغل في الدين برفق:

إن قول النبي (ﷺ) في الحديث: (فأوغل فيه برفق)، أي توغل في معرفة أحكامه وتعاليمه، وانخفض في تأدية ما وجب عليك لكن برفق، بحيث لا تكلف نفسك فوق طاقتها، فإن التشدد في الدين خطير<sup>(١١)</sup>. والفضيلة وسط بين رذيلتين، هما: الإفراط، والتفريط. وكان الرسول (ﷺ) إذا خيّر بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت - في حديث طويل وهي تشرح أخلاق النبي ووسطيته -: "...ولا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا..."<sup>(١٢)</sup>. إنها الفضيلة التي يعلمنا إياها الرسول العظيم. ومن أجل الرفق بالنفس شرع الله الرخص لأصحاب الضرورات الشرعية؛ ليعلم كل مسلم أن من شاد الدين بغلوه وحماقته غلبه الدين ببسره وسماحته.

### منبع المثل في قصة (المُنْبَت):

المَثَلُ ما سُمِّي مثلاً إلا لأنه يحفر له في الذهن مكاناً فلا يكاد يُنسى. والمُنْبَت هو المُسرِع الذي يأخذ الأمور بحماقة وتعجل، فلا يصل إلى غرضه، وربما يهلك نفسه، ويكون سبباً في إهلاك غيره...

والقصة باختصار: أن رجلاً كان يسير مع القافلة، فسوّلت له نفسه أن يسبق الناس؛ فضرب جملاً واشتد عليه ليسرع به؛ حتى يقطع الطريق سريعاً سريعاً، ومن ثم يصل إلى الهدف قبلهم، فينال ما لا ينالون، ونتيجة الضغط عليه وتحميله ما لا يطيق، سقط الجمل به، فمات هو والجمل!

فلما جاء الركب وجدوه هالِكاً هو وجمله!!، فقال قائلهم هذا المثل: (إِنَّ الْمُنْبَتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى). فأصبح مضرباً لكل مَنْ يتسرع في الأمر بلا وعي ويتشدد فيه، وقد تناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل<sup>(١٣)</sup>. وقد تمثل النبي (ﷺ) في حديث - إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ - بهذا المثل العربي؛ ليرز المعاني التي تضمنها قوله في صور مُحسنة، مبالغة في توكيدها، وتقويتها في الذهن، وتعميقها في القلب.

### قصة الحصيرة:

تقول أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها): كَانَتْ لَنَا حَصِيرَةٌ نَبْسُطُهَا بِالنَّهَارِ، وَنَحْتَجِرُهَا بِاللَّيْلِ، فَصَلَّى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ذَاتَ لَيْلَةٍ فَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ قِرَاءَتَهُ، فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةَ كَثُرُوا.

فَطَلَعَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (اكْلُفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَدْوَمُهُ، وَإِنْ قَلَّ)<sup>(١٤)</sup>.

وهكذا أراد النبي الرحيم أن يُعلِّمهم التوازن، والرفق بالنفس حتى في العبادات؛ حتى يأخذ الجسم قسطاً مناسباً من الراحة؛ ليقوى على العمل -والعمل أيضاً عبادة-.

(١١) الدكتور محمد بكر إسماعيل وصايا الرسول (ﷺ) وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المنار، الجزء الأول ٣٤٩ حتى ٣٥٢.

(١٢) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، وهو صحیح علی شرط الشیخین

(١٣) الدكتور محمد بكر إسماعيل وصايا الرسول (ﷺ) وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، (مرجع سابق)، ص ٣٥٣.

(١٤) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما باختلاف يسير.

وأراد أيضاً أن يُعلمهم أن الله (تعالى) جعل له (ﷺ) خصائص وحده فقط، وليست لغيره، ومنها: عبادات، منها صيام الوصال.

ولما أراد بعض الصحابة أن يقلدوه فيه، نهاهم عن ذلك...  
فعن أبي هريرة: كَهِى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) عَنِ الْوَصَالِ فِي الصَّوْمِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ (ﷺ) -متحدثاً بنعم الله عليه-: (وَأَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي) (١٥).  
والرفق الذي دعا إليه النبي الرحيم... رفق شامل، كامل، عام، لكل الناس -الذين لم يحاربونا- والمخلوقات، وحتى الحيوان الأعجم فقد كان له نصيب مفروض من توجيهاته وتطبيقاته..

"فقد حرّم علينا إيذاء الحيوانات بأي نوع من أنواع الإيذاء؛ كالجوع، والعطش، والعمل المتواصل، والحمل الثقيل، وأوجب الرفق بها، والإحسان إليها بالإطعام، والسقي، وتهئية المأوى الصالح، وإزالة الدرن عنها، والتخفيف عليها، ويقرر (ﷺ) أن إيذاءها يستوجب غضب الله وعقابه... وأن الرأفة بها، والعطف عليها، صنيع مشكور لصاحبه، يدل على قلب فياض بالرحمة لخلق الله، و(الراحمون يرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ) (١٦). وندأونا لكل مَنْ يتعامل معهم: أيها العمال، أيها الحمالون، أيها المزارعون ألا تحبون أن يرْحِمَكُمُ اللَّهُ، وأن يشكر لكم؟! (١٧).

## التشدد والغلو

### يُفسدان علائق الشخص بربه وعلائقه بالناس

الغلو آفة خطيرة، تهدم ولا تبني، تفرّق ولا تجمع، تُنفر ولا تُقرب، ولقد نهانا الله (تعالى) في كتابه العزيز عن الغلو، ونهى أهل الكتاب عن ذلك من قبلنا، فقال جل شأنه: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...) (النساء: ١٧١).

وحذر النبي (ﷺ) أمته من الغلو، فقال: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ) (١٨).

### أولاً: تعريف الغلو

الغلو في اللغة: هو تجاوز الحد، والزيادة عن الحد المعقول.  
وفي الاصطلاح: هو الزيادة في العبادة، أو في الفهم، أو في التطبيق، بما لم يأمر به الله ورسوله، مما يخالف روح الشريعة ومقاصدها.

### ثانياً: أنواع الغلو

١. **الغلو في الاعتقاد:** كمن يعتقد -مثلاً- العصمة لغير المعصوم، أو مَنْ يرفع أحداً من البشر فوق وضعه الطبيعي، أو الأنبياء فوق مقام النبوة، أو يجعل له صفات الألوهية، كما فعل بعض أهل الأديان السابقة. قال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...) (التوبة: ٣١).

٢. **الغلو في العبادة:** مثل مَنْ يُجهد نفسه بما لم يُشرعه الله، أو يظن أن التشدد طريق للتقوى، كمن لا ينام ليله، أو يصوم كل الأيام، أو لا يتزوج...

(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٦) أخرجه الأئمة: أبو داود، والترمذي، وأحمد - صحيح.

(١٧) راجع: فضيلة الشيخ/ محمود شلتوت، وفضيلة الشيخ/ محمد المدني: أحاديث الصباح في المذيع، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤٤٦ هـ، ص ١٧٥ بتصرف..

(١٨) أخرجه: ابن القيم في أعلام الموقعين - صحيح.

## حقوق الله، وحقوق النفس، وحقوق الأهل، عليك:

عن وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة (رضي الله عنه) قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بأكيل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: (صدق سلمان) (١٩).

## ٣. الغلو في الأحكام والتعامل مع الناس:

كمن يكفر أو يبدع أو يفسق بغير علم ولا بينة، ويشدد على الناس في الحلال والحرام بغير حق، أو يزعم أن كل من خالفه فهو ضال.

## مخاطر الغلو

### ١. سبب للهلاك:

فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) قالها ثلاثاً (٢٠). والمتنطعون هم المغالون المتشددون المتعمقون الخارجون عن حد الاعتدال.

### ٢. ينفر الناس من الدين:

الغلو يجعل الناس يفرّون من الدين، ويظنون أنه مشقة لا تُطاق، بينما الدين في حقيقته يُسر ورحمة. يقول النبي ﷺ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَلَةِ) (٢١).

### ٣. تشويه للصورة الناصعة للإسلام:

فقد شوّه الغلاة والمتشددون صورة الإسلام في أنظار العالم، وربطوه بالعنف والدم، وهو منه براء.

## حاجتنا الملحة إلى تمكين قيمة الرفق في واقعنا المعاصر:

أيها المسلمون، إننا في زمن غريب عجيب، كثر فيه التشنج والتسرع، وشاعت فيه القسوة في القول، والتجريح في الحوار، والعنف في العلاقات، ومن ثم فلا بد من عودة إلى أخلاق النبوة، إلى الرفق، واللين، والاعتدال، إلى منهاج النبوة الذي يكسب القلوب، ويحيي النفوس، ويصلح العلاقات، ويُرشد السالكين إلى طريق رب العالمين.

## أمثلة واقعية معاصرة:

- **غلو الجماعات المتطرفة:** شوّه صورة الإسلام الناصعة، وأدى تخويف الناس من الدين، كما أدى لدى البعض إلى سفك الدماء، وزرع الكراهية.
- **الآباء الذين يغفلون عن الرفق مع أبنائهم:** يؤدي ذلك إلى تفكك العلاقة، وقد يكره الأبناء والديهم بسبب القسوة.
- **الداعية الرفيق:** يدخل القلوب بلطفه، ويتأثر الناس بكلامه، ويقبلون على الله من خلاله.

(١٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

• **المعلم الرحيم:** يترك بصمة في نفوس طلابه، ويحبونه ويتعلمون منه، بخلاف الجاف العنيف.

## المسافات الشاسعة بين الغلو والرفق

هناك فرق جوهري بين مسلكي (الغلو والرفق)، إنه تباين صارخ بين طريقين لا يلتقيان. وعلينا أن نتأمل المسافات الشاسعة بين الغلو والرفق:

**الغلو** طريقٌ موحش، يسلكه المتشددون الذين يظنون أنهم يحسنون صنعًا، فيكلفون أنفسهم ما لا طاقة لهم به، ويكلفون غيرهم ما لم يكلفهم الله به.

أما **الرفق**، فهو سبيل النبوة، وهدى السماء، يتبعه من عرف رحمة الله، وذاق طعم الحكمة، فسار على منهاج التوازن والاعتدال.

**الغلو** يُورث القسوة، والتبذير والتكفير، والعنف باسم الدين.

أما **الرفق**، فهو مفتاح القلوب، ومحل القبول، وأقرب الطرق إلى هداية الخلق.

**الغلو** يشبه السير على حد السيف؛ سريع الانزلاق، كثير الهلاك والإهلاك.

أما **الرفق** فهو كالظل الوارف؛ تمشي فيه بأمان، وتحيا فيه بسكينة وطمأنينة.

**الغالي** يضيق على نفسه وعلى الناس، فيشقى ويُنفِر.

أما **الرفيق** فييسط الطريق، ويأخذ الناس برحمة إلى الله، فيحببهم في الدين.

**الغلو** ذهاب إلى طرف، وترك للوسط.

بينما **الرفق** مقام الوسطية الذي ارتضاه الله لأمة سيدنا محمد (ﷺ)، فقال: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ) (البقرة: ١٤٣).

**الغالي** يتكلم بصوت عالٍ لكنه لا يُسمع.

أما **الرفيق**، فقد يهمس.. لكنه يصل إلى أعماق النفس والقلب والوجدان؛ بل وأعماق الرحمة في هذه الحياة.

**الغلو** يطفئ نور الحكمة.

**والرفق** يُشعل مصابيح البصيرة والأمل والعمل.

فيا أيها الإخوة، **اختراروا طريق الرفق**، فإن فيه البركة، وعليه آثار النبوة، وفيه صلاح الدنيا والدين، أما الغلو

فمهلكة، وإن لبس صاحبه لباس الورع.

## حين يتكلم الكون بلغة الرفق: من الذرة إلى المجرة

### الرفق من نوااميس الله تعالى في الخلق والكون والحياة

وهذا بابٌ عظيم من أبواب التدبر والبيان، وإبراز أن الرفق ليس خُلُقًا إنسانيًا فحسب، بل هو سُنَّة كونية، وجزءٌ من الحكمة الإلهية التي بُني عليها الوجود.

إن الرفق ليس فقط خُلُقًا وقيمة فحسب، بل هو قانون كوني، وسنة ربانية، تتجلى في كل ذرة في هذا الوجود.

تأملوا السماء، كيف تشرق الشمس برفق، وتغيب برفق (وَحْدَهُ، وَحْدَهُ)، وتُثير القمر بنور لطيف، لا يُحرق، بل يُهدي، ولو أشرقت الشمس فجأة بحرارة هائلة أو بانفجارٍ كاسح، أو غابت، لاختل النظام، وهلك الإنسان.

تأملوا الزرع، كيف ينمو رويدًا رويدًا، لا يقفز فجأة، ولا يشتد دفعة واحدة، بل يتدرج بلطفٍ ورفق، حتى يكتمل

بناؤه، ويؤتي أكله. فلو فُرِضَ عليه العجلة، أو أُكْرِهَ على الغلو في النمو، لهلك في مهده، ومات قبل نضجه،

ولفقدنا ما أودع الله فيه من الخيرات: من إنباتٍ، وإزهار، وإثمار، وأكسجين، وحصاد، وعلف، وغير ذلك مما يُنتفع به.

إن ذلك لآية من آيات الله المبثوثة في الكون، تُعلِّمنا الصبر، وتُربِّينا على الحكمة، وتُغرس فينا الرحمة، وتُرشدنا إلى سنة التدرج في الأمور، وتذكِّرنا بأنَّ الرزق مكفولٌ لنا من الله، يأتي في حينه، ويُقدَّر بميزانه، على مدار الساعة، وعلى امتداد الأيام والأعوام والأعمار.

أما أن يظهر النبات في كل مراحلهِ فجأةً، وينتهي فجأةً، فإن ذلك يتنافى مع حكمة الخالق في خلقه، ويتعارض مع سُنَّة الكون الجارية في الإفادة المتواصلة، والعطاء المتدرج، الذي به تستمر الحياة، وتنظم مصالح العباد، وتُسْتدَر نعم الله يومًا بعد يوم، وحصادًا بعد حصاد.

**تأملوا نزول المطر، ينزل قطرة قطرة، برفق وحنان، لا سيولًا مدمرة، إلا إذا اختلَّت موازينه.** وهكذا العلم والحكمة شبيهان بالغيث، ينزل بلطف فيحيي القلوب.

**تأملوا جسد الإنسان، كيف ينمو ويكتمل ببطء وتوازن** منذ أن كان نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يُكسى لحمًا، ذلك الرفق والتدرج الإلهي المعجز في تكوين الإنسان منذ آلاف السنين وإلى أن يقوم الناس لله رب العالمين، دليلٌ على أن التدرج والرحمة والرفق من نوااميس الله (تعالى) في الخلق.

وهكذا الكون كله يسير بنظام رفيقٍ بديع: قال تعالى: **(...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا)** (الفرقان: ٢).

وقال أيضًا: **( الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ )** (الرحمن: ٥).

فالرفق هو الوجه العملي للحكمة، وهو سرُّ الجمال في نظام الحياة، فمن خالفه، اصطدم بالقوانين الربانية، فاختلَّت حياته، وخسر دنياه ودينه. وهنا أتذكر قول الله تعالى: **(وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)** (يوسف: ١٠٥).

وهكذا وكما أن الله (سبحانه وتعالى) بنى نظام الكون على الرفق والتدرج والرحمة، فعلى الإنسان أن يبني علاقاته، وعباداته، ودعوته، وتعامله على هذا النهج الإلهي الرفيق الحكيم.

## مائة صورة للرفق في حياتنا المعاصرة

إليك عزيزي القارئ الكريم مائة صورة من صور الرفق، موزعة على محاور الحياة، تعبر بجلاء عن أهمية هذه القيمة البالغة في حياتنا المعاصرة، وهي:

### أولًا: رفق الإنسان بنفسه

١. أن يرفق بنفسه، فلا يكلفها فوق طاقتها عموماً وفي العبادة وفي العمل والسهر... إلخ خصوصاً، وهذا لا يعني الكسل والتراخي كلا، بل يعني الحكمة في إدارة حياته بحكمة وحنكة تمكنه من الاتقان والإحسان، وترتيب الأولويات، بحيث لا يطغى جانب على آخر.

٢. أن يأخذ قسطاً كافياً من النوم والراحة.

٣. أن يأكل ويشرب باعتدال دون إسراف أو حرمان.

٤. أن يتجنب جلد الذات ولوم النفس القاسي.

٥. أن يسمح لنفسه بالترويح عنها بما أحل الله وبالفرح واللعب المباح.

٦. أن يرفق بها في طلب العلم والتدرج فيه.

٧. أن يجتنب الانفعال المفرط والقلق والتوتر بلا مبرر ويعود نفسه على الحِلْم والصبر والتغافل والتغافي.

٨. أن يغفر لنفسه الزلات ويتوب ولا ييأس أبداً من رحمة الله.

٩. أن يرفق بجسده في العمل والرياضة... إلخ، ويبعد عن إرهاقه وإهلاكه.
١٠. أن ينمي نفسه بالتزكية لا بالتعذيب ويحسن الظن بالله ويرضى بقضائه..

### ثانيا: رفق الإنسان بوالديه

١١. الرحمة والتذلل لهما بخفض الجناح، وتحمل ما لا يُطاق منهما دون تأفف أو تضجّر.
١٢. اللين في القول والفعل، بلين الحديث، وخفض الصوت، واللبش الدائم في وجهيهما.
١٣. الإسراع في قضاء حوائجهما دون توانٍ أو كسل، والصبر على أوامرهما وتكرار طلبتهما.
١٤. مراعاة سنّهما وضعفهما، وتقلّب طباعهما، والتمس الأعذار لهما في كل حال.
١٥. الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، والتودد إليهما في حياتهما، والوفاء لهما بعد وفاتهما.
١٦. الاهتمام بأحوالهما النفسية والصحية، وملازمتهم في المرض والوحدة، والسؤال الدائم عنهما.
١٧. عدم تذكيرهما بما يُقدّم لهما من معروف، واحتساب الأجر عند الله دون منّ أو أذى.
١٨. مشاركتهما الحديث باهتمام، والإصغاء لهما، وتقدير آرائهما دون مقاطعة أو استخفاف.
١٩. الحذر من مقارنتهما بغيرهما، أو التذمّر من أحدهما، بل إحسان الظن، وتجميل الصورة، وحفظ المقام.
٢٠. البرّ بأصدقائهما وأقاربهما بعد وفاتهما، والوفاء بوصاياهما، وزيارة من كانا يُحبّانه ويصلانه.

### ثالثا: رفق الإنسان بزوجه

٢١. أن يحترم مشاعرها وظروفها ويحسن معاملتها بالكلمة الطيبة والمعاملة اللينة.
  ٢٢. أن يُراعي ضعفها الجسدي والنفسي ويصبر على تقصيرها.
  ٢٣. أن يُشاورها ويستمع إليها ولا يرفع الصوت عليها.
  ٢٤. أن لا يُحمّلها ما لا تُطيق ويشاركها في المهام المنزلية.
  ٢٥. أن يُظهر الحب ويعبّر عنه بصدق وعرفان ويحميها من الإهانة والاحتقار.
  ٢٦. أن يُراعي تغيراتها في الحمل والرضاعة.
  ٢٧. أن يتغاضي عن زلاتها ويعذر تقصيرها ويغفر زلاتها.
  ٢٨. أن يمازحها ويتزين لها كما يحب أن تتزين له.
  ٢٩. أن يُنفق عليها بسخاء دون منّ ولا أذى.
  ٣٠. أن يُعينها على الطاعات ويذكرها بلطف ورحمة وصبر.
- وما يقال للزوج يقال للزوجة تجاه زوجها

### رابعا: رفق الإنسان بأولاده

٣١. أن يُربّيهم بالرفق والحب دون عنف أو صراخ، مع التوجيه بالحكمة والرحمة واللين.
٣٢. إشباع حاجاتهم العاطفية بالحنان، والاحتضان، والاحتواء والملاعبة، والمسامرة.
٣٣. التعليم التدريجي المناسب لأعمارهم مع مراعاة طباعهم وميولهم وتنمية مواهبهم.
٣٤. التغافل عن الزلات الصغيرة وتجنب الإكثار من العقاب.
٣٥. الشناء عند النجاح وزرع الثقة وتعزيز الشعور بالقيمة.
٣٦. عدم المقارنة بغيرهم وتقدير قدراتهم الخاصة.
٣٧. الإنصات إليهم باهتمام وإشراكهم في الحوار واتخاذ القرار.

٣٨. القدوة الحسنة في المعاملة والرفق داخل البيت.

٣٩. تخصيص وقت للعب والتواصل وتلبية حاجاتهم النفسية.

٤٠. الانضباط في العقاب عند الحاجة، بلطف دون إهانة.

### خامسا: رفق الإنسان بجيرانه

٤١. التحية الطيبة والتواصل الحسن وإشاعة السلام معهم، ومشاركتهم في الأفراح والأفراح.

٤٢. التغافل والتسامي عن زلاتهم إن وجدت، وعدم رد الإساءة مهما كانت، والتسامح مع الأخطاء الصغيرة أو النافهة.

٤٣. الإحسان في المعاملة بمساعدة المحتاجين دون منّة، والإحسان إليهم في الشدائد.

٤٤. الابتعاد عن الخصام والجدال وحفظ أسرارهم وتجنب ما يؤذيهم.

٤٥. اللطف مع الفئات الضعيفة كالأطفال والنساء وكبار السن، ومعاملة الجميع برفق ووقار.

### سادسا: رفق الإنسان بالخلق في الدعوة والإرشاد

٤٦. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة دون تشديد أو غلو أو تجريح.

٤٧. التدرج في النصح والحوار الهادئ مع الإقناع لا الإكراه، والبعد عن الهجوم والانفعال.

٤٨. القدوة العملية في الأخلاق والتواضع ليكون فعله أبلغ من قوله.

٤٩. الرد على الشبهات بلطف وإنصاف مع احترام المخالف في غير عداء.

٥٠. المعاملة بالحسنى مع الناس جميعاً والبرّ والرفق بمن لا يحارب المسلمين.

### سابعا: رفق الإنسان بالضعفاء

٥١. الرفق بذوي الاحتياجات الخاصة، وتيسير سبل حياتهم، واحترام كرامتهم، ومراعاة اختلاف قدراتهم.

٥٢. الرفق بكبار السن، بتقدير شيباتهم، وتحمل تقلباتهم، وخدمتهم بالعطف والتوقير.

٥٣. الرفق بالنساء، بفهم طبيعة ظروفهن، واحترام مشاعرهن، وتقدير ما يعانين بصمت.

٥٤. الرفق بالأطفال في لعبهم وأخطائهم، بتوجيههم بلطف، وتعليمهم بحنان، واحتمالهم بصدور واسع.

٥٥. الرفق بالمرضى والمصابين، بمواساتهم، والدعاء لهم، وتقديم الرعاية لهم بحب وصبر جميل.

٥٦. الرفق بالفقراء في طلباتهم، بردّ الجميل، وستر الحال، وقضاء الحوائج دون منّة أو استعلاء.

٥٧. الرفق بالخدم والعمال، بعدم تحميلهم فوق طاقتهم، وشكرهم، ومعاملتهم بإنسانية ورحمة.

٥٨. الرفق بالأسرى في الحروب والمساكين، بإطعامهم، وتأمينهم، ومعاملتهم بما يليق بالكرامة الإنسانية.

٥٩. الرفق بطلاب العلم والضعفاء، بتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، وتفهم ضعفهم والسعي لرفع مستواهم برفق.

٦٠. الرفق بمن أصابتهم مصيبة، بمواساتهم، والوقوف إلى جانبهم، وتجنب اللوم والتشريب عليهم.

### ثامنا: رفق الإنسان بالحيوان الأعجم

٦١. الرحمة في معاملته، بعدم ضربه أو أذيته أو تعذيبه بأي صورة من الصور.

٦٢. رعايته بتوفير الطعام والشراب والمأوى، وعلاجه إذا مرض أو تألم.

٦٣. الرفق عند ذبحه إن اضطر الإنسان لأكله، فيذبحه برحمة، دون تعذيب أو تمثيل.

٦٤. إنقاذه عند الخطر، ومساعدته إذا رآه جائعاً أو مصاباً أو عالقاً في مأزق.

٦٥. إحسان التعامل معه دائماً، بتجنب القسوة والغلظة، والتزام اللين والرحمة في شتى الأحوال.

٦٦. عدم تحميله ما لا يطيق، سواء في الركوب أو الحمل أو العمل.

- ٦٧. تجنّب حبسه دون طعام أو حاجة، فذلك من الظلم الذي نهى عنه الشرع.
- ٦٨. ملاطفته إن كان أليفاً، وإشعاره بالأمان في وجود الإنسان.
- ٦٩. تجنّب إيذائه عبثاً أو لهواً، فإن الله لا يرضى بالعبث المؤذي، ولو بحيوان.
- ٧٠. الرحمة به عند موته أو فراقه، وعدم الاستهزاء به أو التمثيل بجسده.

### تاسعا: رفق الإنسان بالنبات

- ٧١. سقي الزرع ورعايته والعناية به والرفق به.
- ٧٢. عدم اقتلاع الأشجار بلا حاجة.
- ٧٣. التشجيع على التشجير والتخصير، والإبداع في تعظيم الفوائد والعوائد منه.

### عاشرا: رفق الإنسان بالبيئة

- ٧٤. تجنّب تلويثها أو الإضرار به.
- ٧٥. الاقتصاد في استخدام الماء والطاقة.
- ٧٦. الحفاظ على النظافة العامة.

### حادي عشر: رفق الإنسان بالأجهزة والآلات

- ٧٧. استخدام الأشياء باعتدال.
- ٧٨. عدم إتلاف الممتلكات العامة.
- ٧٩. صيانة الأجهزة بدل إتلافها.
- ٨٠. الاقتصاد في الاستهلاك والتشغيل.

### ثاني عشر: رفق الإنسان في الحياة العامة

- ٨١. الرفق في قيادة السيارة، بتجنّب التهور، واحترام المشاة، وإفساح الطريق للغير.
- ٨٢. الرفق في الطواوير العامة، بالالتزام بالدور، واحترام الآخرين، وتجنّب التدافع والضيق.
- ٨٣. الرفق في استعمال الهاتف، بخفض الصوت في الأماكن العامة، ومراعاة راحة من حوله.
- ٨٤. الرفق في تقديم الشكاوى، باختيار الألفاظ المناسبة، والالتزام بالموضوعية، والتماس الأعذار، ومراعاة المصلحة العامة والعليا، وتجنّب الصراخ أو الاتهام الجارح.
- ٨٥. الرفق في انتظار الدور، بالصبر، وحُسن الظن، وتجنّب التذمر أو التعدي على الحقوق.
- ٨٦. الرفق في الحوار والمناظرة، بالموضوعية، واحترام الرأي الآخر، والبعد عن السخرية والتجريح.
- ٨٧. الرفق في النقاش العام، بالتفاهم، وخفض الصوت، وتقديم المحبة على الغلبة.
- ٨٨. الرفق في المنافسة الدراسية أو الوظيفية، بالتحلي بالأخلاق، وتجنّب الحسد أو الإقصاء.
- ٨٩. الرفق في العمل الجماعي، بتقبّل الآراء، وتوزيع المهام بعدل، والتعاون بروح الفريق.
- ٩٠. الرفق في المواقف السياسية والفكرية، بالحكمة في الطرح، واحترام التعددية، وتجنّب التحريض أو الإقصاء.

### ثالث عشر: رفق الإنسان في الليل والنهار وفي شتى الأوقات

- ٩١. عدم إزعاج النائمين.
- ٩٢. خفض الأصوات في الليل.
- ٩٣. ملاطفة الناس في الصباح.

- ٩٤ . الدعاء للناس عند الغروب.
- ٩٥ . إكرام الضيوف ليلاً ونهاراً.
- ٩٦ . مساعدة المحتاجين في كل حين.
- ٩٧ . الرفق الدائم حتى عند الغضب.

### رابع عشر: رفق الإنسان الشامل في كل شؤونه

- ٩٨ . رفق في اتخاذ القرار.
  - ٩٩ . رفق في التغيير والإصلاح.
  - ١٠٠ . رفق في التربية والتزكية والدعوة.
- وهكذا فإن الرفق ليس خُلُقاً شخصياً؛ بل هو أسلوب حياةٍ شامل، يحيط بالإنسان من داخله ومن حوله، ويعكس مدى اتباعه لهدي سيد الخلق سيدنا محمد (ﷺ).

### هل الرفق يعني التسبب؟

الرفق لا يعني التسبب أبداً، بل هما نقيضان.

**الرفق:** هو اللين الحكيم، الذي يُمارَس مع حُسن تقدير للموقف، ويستهدف الإصلاح دون عنف تعنيف أو تشدد أو غلو، مع الحفاظ على الحقوق، والعدل، والنظام.

**أما التسبب:** فهو ترك الأمور بلا ضابط، ولا رابط، ولا متابعة، ولا محاسبة، وهو قرين الفوضى، يؤدي إلى ضياع الحقوق، وتفكك الأسرة، وتدهور المجتمع.

### الفرق بين الرفق والتسبب

| الرفق رحمة                | التسبب إهمال                  |
|---------------------------|-------------------------------|
| الرفق لينٌ بحكمةٍ وعدل    | التسبب لينٌ مفرطٌ يؤدي للفوضى |
| الرفق يضبط المشاعر بالعقل | التسبب يطلق العواطف بلا ضابط  |
| الرفق يحفظ الحقوق         | التسبب يهدر الحقوق            |
| الرفق يُؤدّب بلُطف        | التسبب يترك الخطأ بلا توجيه   |
| الرفق محمودٌ شرعاً        | التسبب مذمومٌ شرعاً وعقلاً    |

### النبي يعلمنا الرفق والحزم والحسم:

**فالرفق:** هو اللين المصحوب بالرحمة، المقرون بالحكمة في القول والفعل.

وأما **الحزم** : فهو إحكام الأمور، ووضع كل شيء في موضعه الصحيح، مع التقدير الدقيق للعواقب.

وأما **الحسم**: القطع واتخاذ القرار النهائي، ولزوم إنهاء التردد.

ولقد كان سيدنا محمد (ﷺ) أرفق الناس، لكنه كان أشدّ الناس حزمًا وحسماً في الحق، فقد ورد في الحديث الصحيح: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، ... إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ)، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: (يا

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَابْتَغَى اللَّهُ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا (٢٢).

### هل يوجد رفق مذموم؟

نعم، الرفق في أصله محمودٌ ومطلوبٌ شرعاً، وهو من أخلاق الإسلام العظيمة، لكن قد يتحوّل إلى رفقٍ مذموم في حالات خاصة:

- خرج عن موضعه،
- أو ترتّب عليه ضياع الحقوق،
- أو تسبّب في تمكين الباطل،
- أو أدّى إلى إهدار المال، أو الجهد، أو تعطيل الحدود،
- أو أدّى إلى تفريطٍ في الواجبات،
- أو ترتّب عليه مخالفةٌ للشرع.

### أمثلة الرفق المذموم:

#### ١. الرفق في غير موضعه مع الظالمين أو المفسدين

• مثل: التهاون مع ظالم أو فاسدٍ، وتركه دون ردع أو نصح أو محاسبة، بحجة “الرفق”، قال الله تعالى: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (هود: ١١٣).

#### ٢. الرفق الذي يؤدي إلى تمكين الباطل أو ضياع الحق

• إذا سكت الأب عن تربية أولاده، أو المدرس عن تقويم الطالب، أو القاضي عن تطبيق الحد أو الحكم العادل، خوفاً من الحرج أو رحمةً غير موضوعة فهذا رفقٌ مذمومٌ لأنه أضاع الحقوق.

#### ٣. الرفق الذي يفضي إلى تمادي المسيء في إساءته

• مثل أن يُعامل السفیه أو المؤذي أو العاصي برفقٍ زائدٍ يُطمعه في التمادي، فهذا إساءة للمجتمع وتفريط في الإصلاح.

وهكذا فإن الرفق الحمود هو ما وافق الشرع وأدّى إلى صلاح وإصلاح، أما الرفق المذموم فهو ما أدّى إلى فساد أو تمكين للباطل أو ضياع للحق.

### احذروه.. العبوس ليس جزءاً من الإيمان

كثيرون اليوم يظنون أن التدين يعني الصمت، والصرامة، والوجه العابس، وأن من مظاهر الورع أن يُسدل الإنسان حاجبيه، ويغطّي رأسه، ويقابل الناس بتكشيرة لا تُطاق... وهذا خلل في التصور، ومخالفة صريحة لهدي سيد الخلق سيدنا محمد (ﷺ).

إن العبوس الدائم ليس من علامات الجدية، ولا من صفات المتقين، ولا هو جزء من الإيمان، بل هو في كثير من الأحوال قسوة، ونفور، وسوء خلق، ونقص لما بعث به النبي (ﷺ) من رحمة.

يقول الله تعالى عن نبيه (ﷺ): (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩).

والعبوس ليس تدينا، لذلك كان (ﷺ) بسّام الوجه، بشوق القلب، جميل المحيا، سهلاً، قريباً من الناس، لطيف النظرة، رقيق التعامل، إذا صافح أحداً لم ينزع يده حتى ينزعها الآخر.

### من صور الرفق: نظرتك الحانية... وهي مفتاح للقلوب

من صور الرفق التي أهملها الناس: رفق النظرات. فنظرة بعين رقيقة، تسبق اللسان، وتسبق الكلمة، وتسبق النصيحة.

قد تكون هذه النظرة سبباً في شفاء نفس متعبة، أو بذر أمل في صدر مهموم، أو هداية قلبٍ كاد أن ينطفئ.

• فكم من زوجة أطفئت شمعتها في بيتها بسبب عبوس زوجها المستمر!

• وكم من زوجة ذلت لأن زوجها لا يرى فيها إلا التقصير...

• وكم من زوج دمر بسبب قسوة زوجته!

• وكم من ولد فقد الثقة في نفسه لأن أباه لا ينظر إليه إلا بحدة لا يعامله إلا بشدة وغلظة وقسوة!

• وكم من أم تحتاج إلى نظرة حنان من ابنها...

• وكم من ولد يشعر أنه ثقيل في عين أبيه...

• وكم من مريض أو سائل أو غريب يمر بك، ولا يريد منك مالاً ولا كلاماً... بل مجرد نظرة إنسانية دافئة.

قال النبي (ﷺ): (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى وَالشُّوْكَ وَالْعِظَمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دُلُوكَ فِي دُلُوكِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) (٢٣).

وعن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ) (٢٤). بوجه "طلّق"، أي: ضاحكٍ مُستبشِّرٍ، وليسَ بوجه عبوسٍ مُكفهرٍ، والنبي يعلمنا طلاقة الوجه عند اللقاء، والترغيب في فعل المعروف مهما كان، قليلاً كان أو كثيراً، بالمال، أو الخلق الحسن والمعاملة الطيبة.

فاحذر أن تكون سبباً في نفور الناس من الدين. وفي بعض المساجد والمدارس والمرافق، ترى من يظن أنه يُمثّل الدين، فيقطّب حاجبيه، ويُقطّع بنظراته الناس، ويتعامل بجفاء وجفاف، فينفر الناس من لحيته لا لشيء، إلا لأنه جمع بين المظهر الديني والعبوس.

وهكذا تُشوّه صورة الإسلام، وتُنقّر القلوب من الخير، وتُغلق أبواب الأمل أمام المحتاجين إلى الكلمة والنظرة والرحمة.

والرسالة الأخيرة:

➤ العبوس ليس عبادة

➤ ولا الغلظة دليل تقوى

➤ ولا النظرة الجافة من أخلاق أهل الإيمان

أيها المسلمون،

كونوا كما كان نبيكم (ﷺ): رحمةً تمشي على الأرض.

○ أرفقوا بنظراتكم

(٢٣) أخرجه الترمذي، وابن حبان، المنذري في الترغيب والترهيب (إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما)..

(٢٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

○ وبلغوا رسائل الرحمة بملاحكم

○ وكونوا مصدر أمان في بيوتكم وأعمالكم وأحيائكم

## أثر العبوس السلبي على عضلات الوجه وعظامه نظرة علمية ونفسية

العبوس ليس مجرد حالة عابرة من تقطيب الجبين، بل هو وضعية عضلية وعصبية سلبية متكررة تؤثر على الإنسان نفسياً وبدنياً، وتترك آثاراً واضحة على الوجه والبنية الجسدية الدقيقة.

### العبوس وعضلات الوجه:

العبوس المتكرر ينشط عضلات محددة باستمرار، ويؤدي إلى تقلصات دائمة قد تبقى الوجه في وضع غاضب حتى في حالة السكون، ويتسبب في إرهاق الجهاز العصبي الذاتي، مما يرفع هرمونات التوتر مثل الكورتيزول.

### العبوس وتجاعيد الوجه:

يؤكد أطباء الجلد أن الانفعالات السلبية المتكررة (كالتجهم والعبوس) تسرع ظهور:

- تجاعيد الغضب بين الحاجبين.
- خطوط الجبهة الأفقية.
- الخطوط النازلة حول الفم.

وذلك بسبب الانقباض العضلي المتكرر الذي يُنهك الجلد ويقلل من مرونته مع الزمن والعجيب أن الطب الحديث يؤكد اليوم أن العبوس المستمر يؤدي صاحبه قبل غيره، فهو يجهد عضلات الوجه، ويضغط على المفاصل الدقيقة، ويسرع التجاعيد، ويهيج التوتر، ويُرسل إشارات سلبية للمخ تجعله أكثر قلقاً وغضباً... بل إن دراسات أمريكية حديثة تقول: إنك إذا ابتسمت ولو دون سبب، فإن دماغك يبدأ بإفراز هرمونات السعادة تلقائياً، ويهدأ قلبك، وتنظم أنفاسك! فلماذا نحمل وجوهنا هموم الدنيا وننشر الكآبة من حولنا؟ لماذا نغضب من أقل شيء، وننسى أن المؤمن سمحٌ هين، لا يعرف العبوس إلا في وجه الظلم والفساد؟ أيها الأحبة: تبسمك لا يكلفك شيئاً، لكنه يمنحك أجراً، ويجلب لك القبول، ويبعث في بيتك ومجتمعك الراحة والانس... فالعبوس ليس من الدين، بل هو فظاظة تجرّ القسوة، وتطرد الناس من حولك، وتؤدي حتى عظام وجهك.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمداً (ﷺ) رسول الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى): **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)** (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ الشُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

## الوسائل المعينة على اكتساب صفة الرفق

هناك عدد من "الوسائل التي تعين على اكتساب الرفق ما يلي:

- ١- العِلْمُ بالفوائدِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ المُرْتَبَةِ على الرَّفْقِ.
- ٢- مجَاهِدَةُ النَّفْسِ على التَّحَلِّيِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ ف (الرَّفْقُ في الْأُمُور ثَمَرَةٌ لَا يَثْمِرُهَا إِلَّا حُسْنُ الْخُلُقِ).
- ٣- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ فِي الرَّفْقِ امْتِثَالًا لِمَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ وَاقتداءً بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ).
- ٤- مِطَالَعَةُ سِيرَةِ الرَّسُولِ (ﷺ) وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ.
- ٥- أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْعَبْدُ أَنَّهُ كَمَا يَحِبُّ أَنْ يُرْفَقَ بِهِ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَرْفُقَ بِالنَّاسِ " (٢٥).

## آثار الرفق ومردوده

### على الفرد والأسره والمجتمع والحياة والتنمية

إن الرفق ليس مجرد خُلُقٍ لطيف يُمدَح، بل هو قوة بناء لها آثارٌ عميقة تُثمر في كل مجالات الحياة، نذكر منها:

**أولاً: آثار الرفق على الفرد**

- يملأ القلب طمأنينة، ويذهب القلق والتوتر.
- يجعل صاحبه محبوباً بين الناس، مهيباً في قلوبهم.
- يجعله متزناً في قراراته، بعيداً عن التسرع والندم.
- يُنير بصيرته، ويُرشده إلى الخير في المواقف المتداخلة.
- يحفظ له دينه ودنياه؛ فلا يخسر الناس باسم الغيرة، ولا يُفِرط باسم التساهل.

### ثانياً: آثاره على الأسرة

- الرفق بين الزوجين سبب في دوام المودة والرحمة، ودواءٌ للغضب وسوء الفهم.
- يُحسن تربية الأولاد، ويجعلهم أكثر ثقة واطاعة وحُسن خُلُقٍ.
- يمنع تفكك الأسرة، ويحفظها من التوتر والعدوان اللفظي أو الجسدي.
- يبني بيئة صحية نفسية تجعل أفراد الأسرة سُعداء ومتوازنين.

### ثالثاً: آثاره على المجتمع

- يشيع روح السلام والتسامح والتعاون، ويُقلل من النزاعات والشجارات.
- يجعل لغة الحوار هي السائدة بدلاً من لغة السباب أو العنف.
- يرفع من الذوق العام والاحترام المتبادل في المعاملات.
- يجعل أهل الفضل والرفق قدوةً، فينصلح حال الشباب والناشئة.

### رابعاً: آثاره على الحياة العامة

- ينعكس على كل مناحي الحياة؛ فيُحسِّن أداء الموظف، ويُهذب سلوك السائق، ويجعل البائع رحيماً بالمشتري.
- يُسهم في رعاية البيئة والنظافة، والرفق بالحيوانات والنباتات، ورفع الأذى عن الطريق.
- يجعل المجتمع أكثر أماناً، وأقل توتراً، وأقرب إلى العدل والتراحم.

### خامساً: آثار الرفق على التقدم والرفق

- المجتمعات التي يسودها الرفق تُبدع وتنتج، لأن جو التفاهم والتحفيز أفضل من جو القسوة والتسلط.

- الرفق في الإدارة والتعليم والسياسة يجعل القرار صائبًا، والنتيجة ناجحة.
- يفتح أبواب الابتكار؛ لأن الرفق يُنصت إلى الأفكار، ويشجع المحاولة، ولا يُثبط المخطئ بل يُرشده.
- يخلق بيئة آمنة يُستثمر فيها الطاقات لا تُهدر.

\*\*\*

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلام وإسلام. اللهم من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، ورد كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين. اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهر قلوبنا من الكبر، وزيتها بالتواضع، اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...**

وفي النهاية نشكر الله تعالى العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيا لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليل الخطاب، وفتح لنا واسع الأبواب في العلم والخير والنفع.

(... رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ...) (الأعراف: ٤٣)...

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

## خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

### عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢ م)  
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كتّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: [drsoliman@gmail.com](mailto:drsoliman@gmail.com)

يرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان): <https://www.facebook.com/drahmedalisoliman> **متابعة كل جديد**